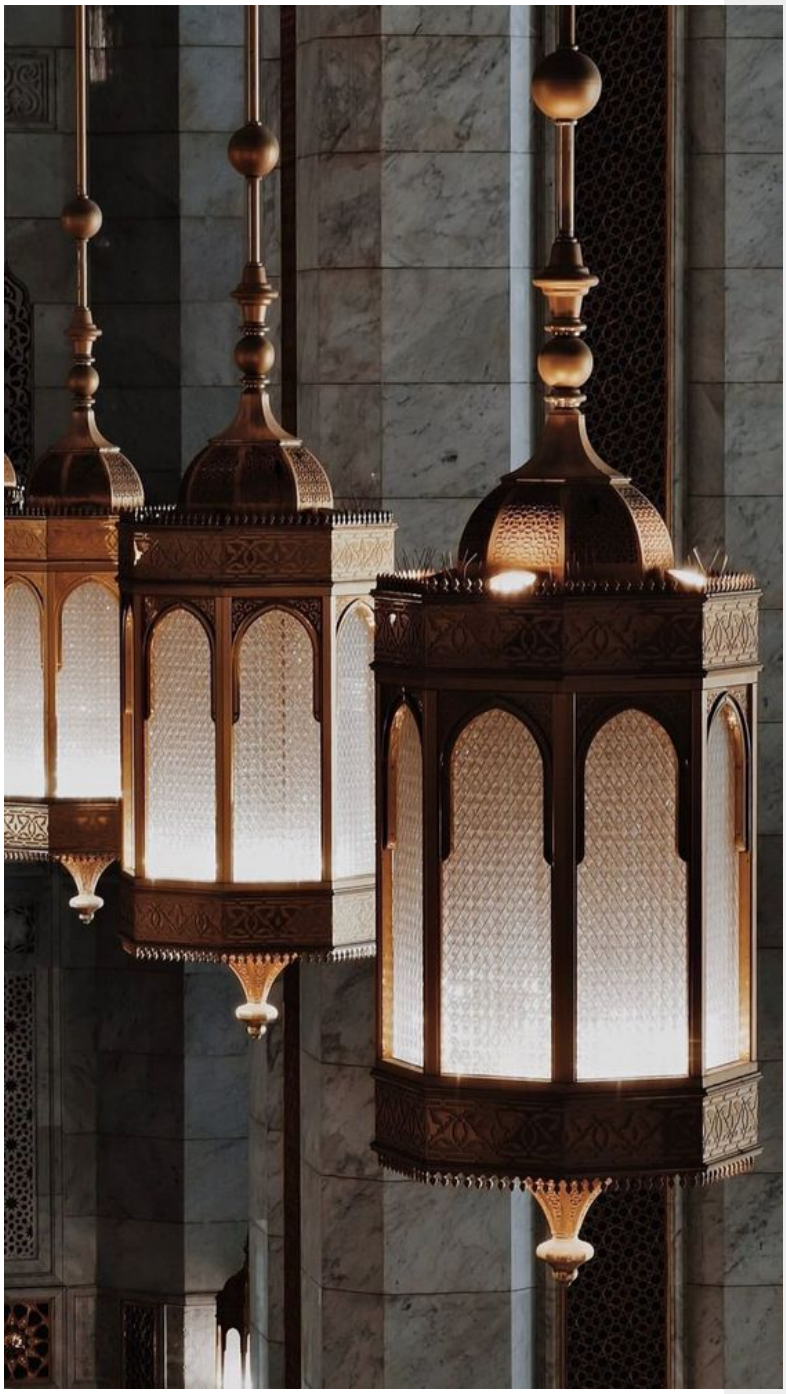

تفريغ محاضرة

(وَمَا أَدْرَاك ما لَيلَةُ القَدْر)

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

١٣ / ٩ / ١٤٣٩ هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةُ نهلنا من معين محاضرات د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جمع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً إلى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.أما بعد:

عدّادُ الشهر:

الليلة هذه هي الرابعة عشر من شهر رمضان، أليس كذلك؟

وقد كنّا للتو ابتدأنا هذا الشهر الكريم، إلا أنه سريع التصرم، فما أن نبدأ به حتى نتوسطه حتى ننتهيه، وحديثنا اليوم هو **حديث الاستعداد للنهايات**، وهذا الشهر لا يمهلنا كثيرًا حتى نتدارك ما فات، فنحن حينما نقول أننا وصلنا للنصف هذا يعني أننا نتكلم عن خمسة أيام وندخل بعدها في العشر الأواخر من رمضان، وهي الليالي ختام هذا الشهر، **والذي هو شهر المكارم والرحمات، الذي يكرم الله عز وجل به عباده وينزل عليهم من الرحمات ومن العتق، ويفتح لهم فيه من أبواب الجنة ما لا يفتح في أي شهر آخر، وهو لا يتكرر بالسنة إلا مرة واحدة،**

فإذا كان عمر أحد من الناس 40 سنة فهو سيمرّ في رمضان 40 مرة فقط، وهي أيام معدودة، والأمر هكذا على حدّ عمرك فلو عمرك 15 سنة فإنك تدخل 15 رمضان، ولو عمرك 60 سنة فإنك تدخل 60 رمضان، ومن يطيل الله في عمره فإنه يستكثر من حجج الله عليه، **إذًا فاللازم إذا كنا ندخل رمضان كل عام وقد كبرنا سنة -ليس يوم فقط من هذه الحياة- فجزمًا أن رمضان سيكون له طعم آخر، ولن يكون مثل رمضان السابق،** لأن اليوم الواحد من أيام الدنيا تعلمك ما لا يعلمك شيء آخر، تعلمك من أحداثها من فقدها من حزنها من فرحها ما لا تتعلمه من أي شيء آخر، فكل ذلك يجعلك تدخل رمضان وأنت شخص مختلف، وكل رمضان تدخل عليه يكون له طعم آخر يختلف عن سابقه.

كيف نستعد؟

إذا كنا في ليلة الرابعة عشر، وقد انتصفنا هذا الشهر ولم يبقى علينا إلا ليالي معدودات، فنحن نتكلم عن ساعات فقط سندخل بعدها في العشر الآواخر من رمضان، **إذًا لابد من استعداد لهذه العشر!**

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه كان إذا دخلت العشر اجتهد اجتهادًا شديدًا، وقيل أن هذه القصة بالذات رُويت حينما أصابه مرض الموت، ووُعِك وَعكة شديدة، لا يقدر معها أن يعمل كثيرًا من عمله، لكنّه اجتهد اجتهادًا شديدًا من صلاة وعبادة وصيام، فعاتبه من حوله وقالوا له: **وأنت في هذه الحال؟ يعني أنك تودع الدنيا وأنت في مرض الموت، فهلّا أرفقت بنفسك؟ أنت محتاج لصحتك وعافيتك.**

وأنتم تخيلوا أيًا من الناس الذين شاهدتموهم في مرض الموت، كيف يكون المرض شديدًا عليهم، وهكذا كان أبو موسى وهو ما يزال مجتهدًا!

فماذا رد عليهم؟ قال لهم: **إن الخيل إذا قاربت على الانتهاء أخرجت كل ما فيها.**

تأملوا بالسباقات، تكون في المضمار خيلٌ بطيئة، متأخرة عن الخيول، ولكن ما إن يبقى القليل على خط النهاية، إذا بالخيل تسبق كل الخيول التي تقدّمتها، وكل الخيول بلا استثناء تخرج أقصى ما عندها من قوّة، لأنه لما يتلاحى لها خط النهاية يدفعها هذا للحماس، **فإذًا هذه قاعدة: أن الانسان حين يرى خط النهاية بدأ يقترب فالمفترض هنا أن لا يهدّئ سيره، بل يُخرج أقصى ما فيه من قوة،** لذلك فأي إنسان لم يحضر قلبه في بداية رمضان، وشعر أنه كان متأمل فعل الكثير من العبادات، ثم لم يحضر قلبه في نصف رمضان وما خضع وما خشع، فالآن في آخره يجب أن يحضر قلبك، ويحضر لزامًا، وألا يعطى مهلة تسويف أو إهمال، وانتظار فرصة الخشوع، لا!، **هي أيام قليلة وساعات قليلة تستحق أن تأتِ بقلبك جرّا، وتُري الله من نفسك خيرًا، وتخرج أفضل ما فيك.**

أثمن الدقائق:

يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها: **«تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»**(1)

هل تعلم كم تساوي الساعة الواحدة في ليلة القدر؟ ساعة واحدة وأنت تقرأ من كتاب الله كم تساوي؟ **تساوي 8 سنوات. والنصف ساعة؟ 4 سنوات. والربع ساعة؟ سنتين**. فتخيل أن ربع ساعة في ليلة القدر وهي الليلة العظيمة لو أضعتها في لهو ولو كان مباح، أو في مواقع التواصل أو غيرها، فأنت ما ضيّعت 15 دقيقة فقط، إنما أضعت سنتين كاملتين! وهذا شيء كبير! كذلك الدقيقة في ميزان الليلة الكريمة ثمينة جدًا **فهي تساوي شهر ونصف.**

و**لما نعرف أن الله تعالى جعل في هذه العشر الأواخر هذه الليلة العظيمة**، فإنك في الدقيقة الواحدة لو سبّحت لله فيها وقلت: سبحان الله وبحمده سبحان ربي العظيم، فقد فزت بعمل أكثر من شهر ونصف مستمر، وكذلك لو صليت في ربع ساعة ركعتين خاشعتين لله وركعت وسجدت فيها، فكأنك صليّت مدّة سنتين كاملتين، وبالأجر ما أعظمه!، يقول سبحانه: **﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾** [القدر: 3].

و**هذه الليلة قد قدّر الله إخفاءها فلم نعلم تحديدًا هي في أي يوم**، فهي في العشر الأواخر، وفي روايات أنها ترجى أن تكون في الليالي الوترية منها، وقيل أرجاها ليلة 27، وروايات أخرى تفيد بأنها متنقلة، فممكن أن تكون في 27 أو 25 أو 21، أو 28 أو 26، **ومن اجتهد في سائر أيام العشر التي قطعًا ستكون ليلة القدر في أحدها فقد فاز فوزًا عظيمًا.**

إذًا فهي ليلة عظيمة جدًا، وعند حديثنا عنها فلا مجال لتفويت دقيقة منها، وليلة القدر ليلها كنهارها، كلاهما معظمان عند الله، قال صلى الله عليه وسلم في وصفها: **" لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «لَيْلَةٌ طَلْقَةٌ، لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، تُصْبِحُ الشَّمْسُ يَوْمَهَا حَمْرَاءَ ضَعِيفَةً»**(2)

(1) أخرجه البخاري، صحيح.
(2) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وقال الألباني: حديث صحيح لشواهده.

لذلك أحيانًا في ليالي الوتر تصلنا صور لحال الشمس في صبيحة اليوم، وهي حمراء صغيرة، فيقال كانت في ليلة كذا -لأن الناس تتشوق لمعرفتها- ويأتي آخرون بصورة أخرى ولعلامات أخرى يقولون بل أرجى أنها في يوم كذا، لذلك نحن لا نعلم هي في أي يوم، لكن الأهم أن تجتهد في هذه العشر ولا تفوّت منها ليلة. في الحديث عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ السَّابِعَةِ، أَوِ التَّاسِعَةِ وَعِشْرِينَ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَكْثَرُ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى»**(3)

وهذا يعني أن ليلة القدر تضيق من نزول الملائكة فيها، إذًا فأنت حينما تدخل في العشر الأواخر، وتبدأ في ختام هذا الشهر الذي كل لياليه مختلفة، ولكن هذه ليالي الختام والتوديع فاستشعر أن الله جعل لك مع هذا التوديع جائزة أكبر مما تتخيل، فهذه ليلة مباركة يكثر فيها نزول الملائكة حتى تضيق الأرض، يقول سبحانه: **﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾** [القدر: 4].

ملائكةٌ تتنزل!

لماذا هذا النزول الهائل من الملائكة؟ **لكثرة أعمال العباد الصالحة، من ذكر وتهليل وتسبيح ودعاء وتلاوة، فالملائكة تصعد بها إلى السماوات.**

ولذلك كل من آذته نفسه وأغرقته بذنوبه، وكل من حيرته نفسه عن طريقها فهو لم يستطع إلى الآن أن يجد طريق النور ولا طريق الهداية، ونفسه أبت مطاوعته لاتخاذ القرارات المهمة، واستعصت عليه، وهو يحاول أن يأتي بها في أول رمضان ليكون التغيير، ولكنها تأبى، ويحاول أن يختم القرآن، ولكن نفسه تكسّله، فهو يحاول ونفسه تؤذيه تستأسد عليه، نقول له: دونك هذه العشر الأواخر، لا تفُت عليك ولا تكن أنت الخاسر ولا ترضى أنك تخسر فيها.

(3) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وقال الألباني: إسناده حسن.

قال ابن رجب: إن الملوك لا يحبون أن يدخل أحدهم إليهم إلا وقد زينوا مجالسهم وعبيدهم، فإذا كانت ليلة القدر أمر الله عز وجل ملائكته بالنزول إلى الأرض لأن العباد قد زينوا أنفسهم بالصيام والصلاة، فاذهبوا إليهم في هذه الليلة لتروهم صائمين قائمين راكعين ساجدين، فالله عز وجل يباهي بعباده الملائكة.

ليلة المقادير:

وإنك ترى الرجل يقوم ليلة القدر، **والتي يكتب الله فيها المقادير السنوية،** فيقدّر أن وفاة الرجل تكون في هذا العام وأنه لن يستقبل رمضان آخر، فتراه صام رمضان كله، وفرح بالعيد مع الناس، وأتى موسم آخر فضيل وهي أيام ذي الحجة، وموتته قدّرت في 15 من ربيع الثاني مثلًا، وهو لا يعلم ذلك، لا يعلم أن مقاديره نزلت في هذه الليلة ومنها موته، والإنسان لما يستشعر هذا وأنه لا يعلم ماذا قدّر له، **فالواجب عليه أن يتزيّن بالعمل الصالح كل الأوقات، لئلا تقبض روحه إلا وهو على صلاح، و قدوتنا في ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم** الذي كان يحب أن يتزين في الأوقات التي يرفع فيها العمل إلى الله عز وجل، **فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يصوم الاثنين والخميس ويصوم شعبان**، لمَ؟

عن أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَصُومُ حَتَّى لَا تَكَادَ تُفْطِرُ، وَتُفْطِرُ حَتَّى لَا تَكَادَ أَنْ تَصُومَ، إِلَّا يَوْمَيْنِ إِنْ دَخَلَا فِي صِيَامِكَ وَإِلَّا صُمْتَهُمَا، قَالَ: «أَيُّ يَوْمَيْنِ؟» قُلْتُ: يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، قَالَ: «ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»(4) وعن أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»(5)

(4) أخرجه النسائي، وقال الألباني: حسن صحيح.
(5) أخرجه النسائي، وقال الألباني: حسن.

ليلة سلام:

قال تعالى: **﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾** [القدر: 5] **فما المقصود؟ وما معنى سلام؟ معنى هذه الآية أن الشيطان لا يفوز منها بمعصية من عباد الله الصالحين، فهذه الليلة سلام على عباد الله،** ولذلك أحيانًا تجد أن في هذه العشر نفسك تشرق، تشرق بالعمل الصالح وتشرق بصلاة التراويح، **تشعر أن قلبك في تحليق وهذا من بركات هذه الليالي.**

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة: **" قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ "**(6)

يعني من حرم خير ليلة القدر فقد حرم الخير كله، ورمضان كله كذلك، من حرمه فقد خسر شيئًا كبيرًا، كما في الحديث : **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْضَرُوا الْمِنْبَرَ» فَحَضَرْنَا فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً قَالَ: «آمِينَ» ، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ قَالَ: «آمِينَ» فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ قَالَ: «آمِينَ» ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ قَالَ: " إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَرَضَ لِي فَقَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدُهُمَا فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ: آمِينَ"**(7) فلو خسرت رمضان، وفازت عليك نفسك، وما طوّعتها، ولم تتخذ القرار الصارم، وما غيرت في نفسك شيء، وما تبت من ذنب يلاحقك، وأنت أقوى من هذا كله، ولكنك لسبب تافه ما زلت تعلل وتتعذر! **فلا ترضى لنفسك أن تفوز عليك في هذه الليالي، وبعد هذه الأحاديث لا مجال لك فيها للخسارة.**

فهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو الذي لا يحتاج لكثير عمل، وهو أول من يطرق باب الجنة، فتسأله الملائكة من أنت؟ فيقول: أنا محمد بن عبد الله، فيفتحون له، فيكون أول من يدخلها، ومع ذلك

(6) أخرجه أحمد، صحيح.
(7) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح.

تقول عائشة عنه رضي الله عنها عنه: **«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»**(8) **أي أنّ كل رمضان في كفة، وهذه العشرة الأيام الأخيرة يجتهد فيها مالا يجتهد في غيرها.**

وتقول عنه كذلك: **«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»**(9) فكان يبذل أقصى جهده عليه الصلاة والسلام.

أفضل الأعمال:

الآن وقد علمت أنها ليالي ثمينة، فعليك بالدعاء الزمه، لأن كثيرًا من الناس سيدخل في هذه الأيام العشر المباركات

ولكن من يفوز فيها؟

من جملة الدعاء الذي ينبغي الحرص عليه قولنا: **اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فادعُ الله بحسن العبادة لتحقق الفوز المرجو. فتبتّل إليه وادعه ألا يكلك لنفسك، ادعه بتضرع شاكيًا إليه حالك، قل يا رب لا تجعلني أشقى خلقك بك، فكل الخلق سابقوا، وكل الخلق نافسوا، وكل الخلق عملوا عملًا صالحًا، وأنا ما زلت مع قلبي الحجر في جهاد معه، يا رب ساعدني.**

فأفضل الأعمال في هذه الليالي هي **طول القنوت،** وكل الأعمال خيرة، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما وُصف بأنه **"شد المئزر وأيقظ أهله"** دليل يحثّك على ألا تفعل الخير لنفسك فقط، بل أيقظ أهلك معك، تنصحهم زوجةً وأولادًا وحتى أصدقاء، حتى وإن قابلوك بالتعذر فقالوا: أحس أني لا

(8) أخرجه مسلم، صحيح.
(9) أخرجه البخاري، صحيح.

أستطيع أحس بالصداع، أو عندي ما أتابعه وما أرغب بتفويته، فأنت لابدّ أن تشعرهم بالحرص، فيروا في عينك اللهفة والحرقة على تضييع هذا الوقت، وذهاب هذا الوقت الفاضل، وهم حينما يرونك بهذا الإصرار والحماس قد يشعروا بأهمية ما تنصحهم إليه، فينقادون إليك، وقد أوصلت لهم القضية العظيمة أنّ: **"مَن حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ"**.

ولذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام في هذه الأيام بالذات، **كان يترك أعمالًا عدة، ويركز على شيء واحد فقط وهو أنه يلزم المسجد ويعتكف، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي لا يحتاج لهذا الاجتهاد ومع ذلك حريص ويفعل،** ولذلك بلال رضي الله عنه لما رآه واقفًا طويلا في صلاة الليل قال له: يا رسول الله أتفعل ذلك وقد غفر ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ يعني بكلامه أنك ماذا تريد يا رسول الله؟ ألست تريد الجنة؟ إنك أنت أول من تفتح له. أتخاف من النار؟ إنك لن تدخلها. إذًا لماذا تصلي هذه الصلاة الطويلة وهذا السجود الطويل؟ ولماذا هذا البكاء والأزيز في صدرك؟ وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم **قَالَ: "يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي" قُلْتُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ قَالَتْ فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} الآية كلها [آل عمران: 190]** (10).

فحينما يقول الله: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّـهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الزمر: 67]

فبالفعل نحن ما قدرنا الله حق قدره بالصلاة، فصلاة التراويح التي تقدر بأربعين دقيقة تقريبًا لما تصليها تشعر أنها عمل عظيم وأنها تكفي في يومك، ولا بأس باللهو واللعب بعدها!

(10) أخرجه ابن حبان، وقال الألباني: حسن.

وأما النبي عليه الصلاة والسلام فإنه كان يفرّغ نفسه في هذه العشر ولا يخلط معها شيء آخر، لأنّ هذه أيّام تسليم، فهذا الشهر الذي كنا نستعدّ له من شعبان، ونتهيأ لاستقباله أوّل رمضان، هو الآن يشرف على الرحيل بعدما انتصف، **ففكّر كيف تحبّ أن تُسلّم رمضانك لله تعالى؟**

ولذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا دخلت العشر الأواخر اعتكف فيها، وفي الحديث: **" ...، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ "**.(11)

عبادة الاعتكاف:

لما علمت حرص النبي عليه الصلاة والسلام على الاعتكاف، **لابدّ أن نفهم ما هي فكرته؟**

فالاعتكاف هو أن تجلس في بيت من بيوت الله، مختليًا معتزلًا الدنيا وما فيها، فلا تُحضر دنياك معك،

يعني أن وجود هاتفك الذي لا تفتأ من خلاله الاطلاع على العالم الخارجي في وسائل التواصل، والاطلاع على الأخبار هو من إحضار الدنيا حال اعتكافك! وهذا الوقت مفترضٌ أن يكون لله كله خالصًا له، ولذلك فإن أضيق ساعة على المعتكف هي الساعة التي يتحدث فيها مع أحد، لأن الساعة قد تكون في ليلة القدر وقلنا الساعة = 8 سنوات، والنصف ساعة = 4 سنوات، يعني أن ربع ساعة تسلّم فيها على من صادفت بالمسجد وتسأل عن أحوالهم وتتجاذبون أطراف حديث، فهذه الدقائق لو ذهبت هكذا وهي في ليلة قدر فأنت خسرت شيئًا عظيمًا،

والمهم كذلك في الاعتكاف **ألا يشغلك نفلٌ عن فرض**، فمن كان في بيته مثلًا أمه أو أباه أو أم لها أولاد يحتاجونها، أو أي فرض آخر فهي بإذن الله مأجورة الأجرين، لكنّ حديثنا هنا هو عمن يستطيع، ومن عنده القدرة، فمن أرجى الأعمال التي يفعلها الإنسان في هذه العشر: **أن يعتكف في أحد بيوت الله.**

(11) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وقال الألباني: ضعيف.

والمعتكف لا يصيبه هم ولا وصب ولا نصب ولا ينام نومة إلا كتبت له عند الله عز وجل، **وقد يُشبّه أجر المعتكف بمن دخل مكانًا فيه صنبور ماء وفتحته، فما يزال ينهمر طوال الوقت،** وكذلك المعتكف فمنذ أن يدخل حتى يخرج فصنبور من الحسنات يهمي عليه، فصلاتك، تسبيحك، تلاوتك، راحتك واستنادك على الجدار، غفوتك قبل القيام كلها في أجر، المهم أن تنصب نفسك هنا وتصبر نفسك لله.

ثمّ وإنه

لماذا هذا التواصي العظيم على هذه العبادة؟ لماذا نحن حريصون ألا تضيع منا دقيقة في أي عمل آخر؟

لأنه لما كانت مثلًا جلسة الذكر إلى الشروق تعدل عتق أربع رقاب، وإذا كان قولك لا إله إلا الله مئة مرة كعتق عشر رقاب، هذا وهي جلسات قد تستغرق خمس دقائق إلى نصف ساعة مثلًا بهذا الأجر العظيم، فما بالك بالمعتكف الذي يجلس 6 ساعات، 8 ساعات، 12 ساعة، **والرجال منهم من يجلس في معتكفه من ليلة 21 وما يخرج إلى ليلة العيد، وهم خلق كثير لا تحسبوهم قلة، والنساء قد يتعذر عليهم المبيت في المسجد ولكن إن استطاعت الواحدة منهن أن تكون هناك من إفطارها وحتى الفجر فلتفعل، أو إلى القيام على الأقل،** أو أيًا ما استطاعت المهم أن تفوز باعتكاف المسجد ولو لساعة لكن لا تخسر هذه الأجور.

ومما يُوصى فيه **أن تصاحب أناسًا هممهم عالية،** ولا تصاحب ناسًا دنيئة الهمم، تستكثر العمل الصالح وتثبطك عن الزيادة، بل صاحب من يجتهد ويوصيك على الخير، من يتواصى معك على الختمات ويعطيك طرق لتكثير النيات والعبادات، من يقول لك: **ماذا لو راجعنا سورة كذا؟** أو ماذا لو حفظنا سورة كذا، **يعني لابدّ لك من رفقة تكون معك وتأزك على الخير أزًا.**

كيف نفوز بالعشر؟

وهذا هو السؤال المهم، فنحن ذكرنا علامات وفضائل لهذه الأيام، ولكن كيف نفوز فيها؟

لابدّ أن نعي جيدًا قاعدة أن الأعمال ليست بصورها، ففي الحديث: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**(12) **فمحل نظر الله هو قلبك، وما يناله من التقوى فيه، فالقضية هي ليست كم جلست في مصلاك، وليست كم تصدقت من مالك، ليست قضية كم، بل الله ينظر إلى ما وقر في قلبك،** هل هو حيٌ أو لا؟ هل استنار أم لم يستنير، هل اهتدى بهدى الله عز وجل أم ما زال هذا القلب متفلت؟

ولذلك إذا أردت أن تعرف حالك مع رمضان؟ وهل أنت من المعتوقين؟ هل أنت مع الفائزين؟ وأردت أن تعرف قدرك عند الله فالتفت لقلبك، وانظر لمنسوب الإيمان الذي فيه؟ وهل هو يرجف حبًا وخوفًا وشوقًا؟ أم مازال يعيش حياة روتينية، بأعمال رمضان المتكررة (فطور وسحور وانتهى) بلا شوق ولا حب ولا وجل، **إذًا حينها أنت في حاجة للدعاء لقلبك -دعاء خاصّ جدًا- أن يأتي الله به على خير حال، لأنه إن مضى رمضان بلا تغيير وبلا هذه المشاعر نكون قد خسرناه.**

إذا كيف نفوز في هذه العشر؟

1- تحسس نيتك:

وهذا أمر في غاية الأهمية، فربّ عملٍ عظيم تصغّره النية، وربّ عملٍ صغير تعظّمه النية، **تجد أناسًا مضت عليهم سنوات ما تركوا الاعتكاف، يصلون ويصومون، لكن العمل مدخول فما تقبله الله عز وجل لأنه لم يرجى فيه وجه الله وحده، كان فعله له تحصيل حاصل،** فلأن الناس تفعله صار لابد أن يفعله هو، ومن العيب عدم الذهاب معهم،

يقول أحدهم: صليت في الصف الأول عشرين سنة، وجاء يوم ولسبب ما تأخرت عن الصلاة فصليت في الصف الثاني **فأصابني الحياء من الناس، وليس من الله**، بأن يراني جماعة المسجد ويقولون فلان صلّى في الصف الثاني! **يقول هو عن نفسه: فعلمت أنها عشرين لم تكن لله، عشرين سنة يصلي في الصف الأول لكن لم تكن لله فهو كان يفعل ذلك لأنه كان يستمتع بثناء الناس** عندما يُقال "**ما شاء الله**

(12) أخرجه مسلم، صحيح.

عليه فلان ما يفوت الصف الأول" فصار ثناء الناس حاضرًا في ذهنه دائمًا وربما بنى أفعاله عليه بدون أن يشعر.

فمهم جدًا أن تتحسس نيتك بعملك الصالح الذي تفعله، هل هو لله أو لغير الله؟ ثم ماذا ترجو؟ ففي كل مرة تعمل فيها عملًا صالحًا، فإن الله عز وجلّ يسأل: ماذا يريد عبدي؟ ففي الحديث نورده مختصرًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فُضُلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَ بِهِمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، فَيَقُولُ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: يُكَبِّرُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا لَكَ أَشَدَّ عِبَادَةً وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا وَتَحْمِيدًا وَتَمْجِيدًا، فَيَقُولُ: وَمَا يَسْأَلُونِي؟، قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا عَلَيْهَا أَشَدَّ حِرْصًا وَأَشَدَّ طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، فَيَقُولُ: وَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ فَيَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ فِرَارًا، وَأَشَدَّ هَرَبًا، وَأَشَدَّ خَوْفًا، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: فَهُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ»**.(13)

ماذا يريد عبدي؟ هذا السؤال مهم أن يكون واضحًا عندك عندما يطّلع الله على قلبك، وقد عملت عملا اجتهدت فيه اجتهادًا كبيرًا، ويسألك هذا السؤال: ماذا تريد؟ **فيكون قلبك يفيض حبًا ويرتجف شوقًا وممتلئ خوفًا، فأنا يا رب مشتاق إليك، ومشتاق لجنتك، ولبرد جنتك، وأنا يا رب خائف من عذاب القبر وأنا أخاف من الظلام** فكيف ستكون أول ليلة لي في القبر؟ **وأنا يا رب خائف من النار فآمنّي من عذاب القبر وعذاب النار، وارزقني جنتك ولذة النظر لوجهك الكريم**، فمثل هذا الشعور يجب أن يملأ قلبك، فحين الإفطار مثلًا وقد أنهيت صيامك وبيدك تمرتك ويطّلع الله على قلبك، وبين كل الناس **يرجف قلبك من**

(13) أخرجه ابن حبان، وقال الألباني: صحيح.

الداخل: يا رب أعتقني، يا رب رضيت عني؟ يا رب تقبلت صيامي؟ فهذا الشعور يجب أن يكون حاضرًا دائمًا عند كل عمل حتى إذا اطلع الله عليك في دقيقة من الدقائق ليلًا أو نهارًا وإذا بهذا القلب خاشع مقبل على الله عز وجل.

إذًا فدائمًا **لا تنس قلبك**، وتفكر هل ما وصلت له هي الدرجة من الهداية التي يأتيك رمضان من أجلها؟ تأمل في دعائك هل أنت تدعو لنفسك بأن تصبح أهدى وأحسن؟ الله عز وجل في القرآن يدعو عباده لأن يدعوا بـ **"رب اجعلني للمتقين إمامًا"** هل تعلم ما معنى هذا؟ **يعني ألا تكون فرد عادي، بل إمام في الهدى والصلاح**، فيقتدي بك غيرك ويتبعوك، وتكون الإنسان المؤثر في حياة الكثيرين، فيزداد ميزان حسناتك لأنه يصل لك أجر من أرشدت وهديت، وأما الغبن إذا انصرم العمر وأنت لم تبذل كل ما في وسعك، ولم تفز في هداية نفسك، وإصلاح غيرك!

2- على قدر اجتهادك تكون منزلتك:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: **" إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللهِ الْعَبْدَ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْونَةِ .."**(14)

فالله يعين العبد على قدر اجتهاده، فكلما اجتهدت أكثر كلما كان لك من المعونة أكثر، والأجر كما يقول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: **«إِنَّ لَكِ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ»**(15)

فكلما اجتهدت أكثر، كلما كان أجرك أكثر، فاعلم يقينًا أنه على قدر اجتهادك تكون منزلتك عند الله، واحرص في اجتهادك أن تنوع في عباداتك، حتى تجد قلبك، ففي أي عبادة كان قلبك أكثر حضورًا؟ قد تقرأ القرآن تلاوة ولا تجد له ذاك الأثر،

ولكن عندما تقوم به في صلاتك تكون خاشعًا، ثم إذا انتهيت من صلاة انشغل بالتهليل والتسبيح والاستغفار، وهذا أبو هريرة رضي الله عنه كان يستغفر في اليوم الواحد 14ألف مرة ويقول: إني أستغفر الله على قدر ديّني، **فكأنّه يستنقذ رقبته من الله عز وجل في كل يوم. ونحن لو**

(14) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وقال الألباني: صحيح.
(15) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح.

استغفرنا 100 مرة فكم مرة خلالها نسرح؟! والقضية ليست عدد، فذكرُ الله مفتوح، المهم أن يبقى قلبك حاضرًا ولسانك من ذكر الله رطبًا،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»(16) رطباً: يعني لا يجف ولا يتوقف، **والقضية هي أن الناس تكثر وأن هناك أناس قبلنا ومعنا يعملون ويجتهدون، ويستنقذون أنفسهم من الديّة، وأنت ماذا تفعل؟**

من أشرف أنواع العبادات التي يفعلها الإنسان في هذا الوقت أن يتبتل، وحينما نقول "يتبتل" نتذكر في ذلك مريم عليها السلام التي اختارها الله عز وجل على نساء العالمين، لماذا؟ قال تعالى: **﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾** [آل عمران: 43]

ذلك القنوت وتلك السجدات والركعات كان لها عظيم الأثر على بناء مريم لذلك فُضّلت،

وفي الحديث: **«كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، ....** "(17)

والمشهور عن مريم عليها السلام هو **التبتل: أي أنها كانت تنقطع لعبادة الله عز وجل، ولذلك اختارها الله عز وجل على كثير من خلقه،** إذًا فهذا الشهر فرصتك في الانقطاع، لأن بعده يأتي الصيف وملهياته، ثم العودة للدوام وزحام الدنيا

فهذا الشهر شهر عزيز وهو فرصتك للانقطاع عن كل الدنيا، وفرصتك لتعطي كل ما عندك وليرى الله منك ما يحب.

(16) أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.
(17) أخرجه البخاري، صحيح.

وهذا هو أنس بن النضر رضي الله عنه قال: **غبت عن أول مشهد شهده النبي عليه الصلاة والسلام في بدر، ولئن عشت إلى مشهد آخر ليرين الله ما أصنع، فبهذه الثقة يتحدث، وليس ليُري الرسول أو المسلمون، بل قال: ليَرَينَّ الله.**

فيقول عنه سعد بن معاذ رضي الله عنه بعد معركة أحد وقد قُتل: **يا رسول الله والله ما استطعت أن أفعل ما فعل!** يقول هذا وهو سعد بن معاذ، فقد قاتل أنس رضي الله عنه حتى وجدوا فيه 70 ضربة بسيف ورمح، إلى درجة أنه حين قُتل لم تعرفه إلا أخته ببنانه.

وأنت هل تستطيع هذا الكلام؟ **هل تستطيع أن تقول يا رب قلبي ما حضر في رمضان، ولكن إن عشت إلى العشرة الأخيرة لترينّ ما أصنع؟** هل تقدر أن تكون لديك هذه النية والإرادة والعزيمة؟ يا رب أقصى ما لديّ سأفعله لكن ارضَ عني.. لذا فتبتلك لله في هذه الأيام أهم ما تفعله، فتغلق دنياك ولا تجعل وقتك إلا لله.

فهذه الليلة لا تساوي 83 سنة بل أكثر، لأن الله عز وجل يقول: "خير من ألف" يعني أن الساعة أكثر من 8 سنوات ونصف، والنصف ساعة أكثر من 4 سنوات، والدقيقة أكثر من شهر ونصف،

لذلك لا تنتظر حتى تواتيك نفسك على الخير، بل انطلق واجتهد ما استطعت، فهذا زمان فاضل فلا ترضى بالخسارة فيه،

وتذكر أبو مسلم الخولاني الذي كان يقوم الليل فإذا فترت رجله يضربها ويقول: **قومي فوالله لأزحفن بك إلى الله زحفًا حتى يعلم رسول الله أنه خلّف ورائه رجالًا**! يالله..

3- <u>لابد أن تجمع بين الكم والكيف:</u>

وهذه النقطة مهمة جدًا، بأن لا تنشغل بالكم والعدد فقط فتحسب كم عدد ختماتك وكم عدد ركعاتك وكم عدد تسبيحاتك، **دون الكيف،** فلا تهتم بحضور قلبك ولا بخشوعه، أو أن تقول سأهتم فقط بحضور قلبي وخشوعه وتقلل العدد، لا، كلاهما يجب أن تحرص عليهما، ولذلك زد في العدد وأحضر قلبك ما استطعت، **ففي تلاوتك السور، تمهل قليلًا، رتل، اقرأ في تفسيرها ومعاني كلماتها، أحضرها بقلبك، صلِّ**

بها، والقرآن لما يُصلى به له شعور مختلف تمامًا عن قراءته قراءة عادية، فله حلاوته والتغني فيه له نشوته.

4- لا ترضَ عن نفسك:

مهم جدًا مع كل هذا ألا ترضَ عن نفسك، وتقيّم آداء عباداتك في اليوم بأنه "ممتاز" ويأتي في قلبك خاطر **"أشعر أني سأدخل الجنة"**، فمهم أن ترجو أن يتقبل الله منك، وتخاطبه بكل حب وشوق: يالله قبلت مني؟ ولكن لا ترضى عن نفسك، واعلم دومًا أنك مهما فعلت فأنت مقصر،

وهنا نتذكر الرجل الذي أتى لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقد حمل أمه على كتفه وحج بها فلما رآه قال له: أترى أني قد جزيتها ببرها؟ فقال له عمر: لا والله ولا بطلقة من طلقاتها، فأمك كم سهرت وكم ربّت وكم اعتنت وكم وكم، فكيف تنسى كل أفضالها وأيامها السابقة معك وترى أنك في يومين حملتها على أكتافك أنك جازيتها؟

وهذا في الدنيا فكيف بدقائق ترى فيها أنك أحسنت مع الله أو تظن أنك أدّيت بها حقّه، هل أنت متأكد أنك أديت حق الله؟

في العادة أنك لا تنتبه لـعشرة آلاف رمشه رمشتها في يومك الواحد، لا تعلم ماذا يحدث في خلايا عينك فضلًا عن جسمك بالكامل، وكيف ينبض قلبك، **ما تدرك لطف الله الذي يحوطك من جميع جهاتك، ويحوط أحبابك**، فحفظ أولادك من المرض، وحماهم من حادث سيارة، وغيره الكثير في كل لحظات حياتك،

فهل تعتقد أنك بعمل أيام أو ساعات تكون جازيت الله؟ ولذلك نحن ما قدرنا الله حق قدره، بينما النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول: **"أفلا أكون عبدًا شكورًا"** ولذلك ما نريده هو ألا نرضى عن أنفسنا، فدائمًا حرّك فيك الشوق إلى الله والحب والخوف والرجاء، وكلها بالتساوي، الله سبحانه يقول: **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾** [الحجر: 49-50].

5- أعدّ برنامجك:

فمن المهم إذا حضرت أول ليلة من الليالي العشر **أن يكون لك برنامجك اليومي، وهذا البرنامج يختلف من إنسان إلى آخر،** لكن هناك أشياء المفترض أن نتفق عليها جميعًا، **ومنها أن نسأل الله من هذه الليلة أن يوفقنا لهذه العشر، وأن يوفقنا لقيام ليلة القدر،** فادعُ الله في كل هذه الخمسة أيام قبل أن نلج للعشر وفي صلاتك وفي فطرك **أن يا رب أعتقنا من النار وبلغنا ليلة القدر والفوز فيها، وأن تكثر فيها من الذكر والتكبير والتسبيح والتهليل والاستغفار، فمواسم الطاعات لا تستقبل بشيء بمثل الاستغفار،** وكان الصالحين إذا صلى الواحد منهم الصلاة جلس بعدها يستغفر كأنه خرج من ذنب، مع أنها صلاة لكنه يعلم أنه مقصر في صلاته، وكم مرة صار معك هذا الموقف؟ أن تقرأ سورة الفاتحة وسورة بعدها، وأنت لا تدري ماذا قرأت لأنه صار "فعل روتيني/طبيعي" فهل هذه صلاة تقدمها لربك؟!

ولذلك يكثر الإنسان من ذكر ربه ومن التكبير ومن التسبيح ومن التهليل، لأنه من أحسن في نهاره كوفئ في ليله، فهي القضية أن نبدأ في الإحسان ونسابق فيه لأنك تريد من الله أن يوفقك للعمل الصالح في الليل، فأنت تبدأ من النهار،

فلو كانت الليلة هي ليلة القدر، تكون على الأقل سبّقت في الإحسان من النهار، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره جزاءً عدلًا، وإنما الجزاء من جنس العمل **﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾** [الرحمن: 60].

ولذلك سَبِّق بالإحسان من أيامك هذه، وادعُ الله بأن يبلغك ليلة القدر وأن يعتقك ويبلغك الفوز فيها والعمل الصالح فيها،

وفي العشر هذه احرص على ألا يمضي يوم دون أن تفطر صائمًا، ففتّش عن شيء تستطيع عمله في هذا الباب، أو مكان لم يكتشفه أحد وافرش فيه لتفطير صائمين، **لذلك أنت ابتكر،** وابحث عن الباب الذي تكون منه السبّاق، فالناس لهم من أفعال الخير مالا يدركه الناس، **وبتفطير الصائم تفوز بأجرين أجرك وأجر من فطرته معك،**

ومن ثمّ فإن كل ما فعله هذا الصائم من أفعال مدّته به طاقة تفطيره من صلاة وركعات وسجدات وتلاوة فأنت تشاركه في الأجر، ففتش عن المكان وابحث عن الطريقة التي يمكن ألا ينتبه إليها أحد، في مكان قريب منك أو في بلد آخر، **المهم ألا تذهب عليك هذه الأيام من غير هذه الأجور.**

ثمّ وإذا أذّن المغرب لأول ليلة من هذه الليالي احرص أن تكون لك جلسة خالية مع الله سبحانه تجدد فيها توبتك، وأعلن فيها شيء بينك وبين الله تتوب منه، وفكّر في العمل الذي في العشرين يوم ماضية ما استطعت تركته عاهد الله عليه واتركه في هذه العشر، فاستقبل العشر كأنك تعطيها المهر، **«... أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ»**(18)

والله سبحانه لما يذكر الجنة قم بتخيل كل شيء جميل في هذه الدنيا، هو عند الجنة لا شيء!

وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: **«لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»**(19)

فكل الجمال الذي نراه في الدنيا لا شيء مقابل نعيم أعدّه الله في الجنة.

ولذلك ففي الحديث: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ...»**(20)

فالله عز وجل بهذا يشوّق عباده لهذه الدار التي تفتح أبوابها في رمضان، فإن استطعت أن تقدّم لأجلها مهرًا بسيطًا فافعل، أعلن توبة أو قرار متردد فيه من سنين وقل يا رب تقبلها مني، واجعلها بداية رضاك عني وبلغني العتق والقبول والفوز بليلة القدر، **وأنت لا تعلم ربما هذا الخاطر الذي ناجيت فيه الله ولو سرًا في قلبك، اطلع الله عليك فنظر لك نظرة رحمة فتقبلك ورضي عنك.**

(18) أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.
(19) أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.
(20) أخرجه البخاري، صحيح.

6- احرص في هذه الليالي أن تقوم بفرائضك وبالسنن على أكمل وجه:

فالفرائض أساس والنوافل حرّاس، فبعد الإتيان بالأساس استزد من السنن، فصلاة الضحى لو استطعت الزيادة عن قدرها الأساسي إلى 4أو 6 أو 8 ركعات فافعل، وكذلك السنن الرواتب أدّها كاملة، ولا تتحجج بالتعب، كلها عشرة أيام سرعان ما تنقضي،

وهكذا استثمر كل أوقاتك، وأحيِها بالسنن المهجورة، وفي الوقت بين الأذان والإقامة صلّ فيه ما تيسر لك، وهكذا تقرّب لله بشتى العبادات.

الصحابي رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ: **كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**(21)

وهذا سفيان الثوري رحمه الله سجد سجدة ما بين المغرب والعشاء، يعني قضى ما بين المغرب والعشاء الساعتين تلك في سجدة، هذه الساعتان قد تشعر أنها كثيرة، **لكن في لحظات حين يفتح الله عليك بدعاء وترفع شكواك لرب العالمين فتناجيه وتناجيه فلا تعي بنفسك إلا وقد مرت ساعة كاملة** لأن نفسك كانت محتاجة لهذه المناجاة ولأن حاجاتنا كثيرة آمالنا كبيرة ولا يعيننا عليها إلا الله عزوجل، **فإن استطعت أن تكثر من السجود فافعل.**

لذلك فإن من علامات عدم التوفيق أن يدعو الإنسان دعاءًا باردًا، أو يعتقد أن ليس لديه شيء يدعوه، ولكن لما يوفقك الله ويفتح عليك تجد آلاف من الأشياء أنت محتاج لها، تقول كيف لهيت عنها؟ كيف ما دعيت بها؟ أحيانًا يفتح عليك في الدعاء آخر 3 أيام من رمضان فتشعر بالغبنة والحسرة أن رمضان كله مضى وأنت لم تدع بهذه الدعوات.

صلاة العشاء والتراويح احتسب فيها أجر الحجة والعمرة، وبعد التراويح هذا وقت حر تفعل فيه ما تشاء، فنوّع فيه من العبادات، من صلاة وقيام من حفظ أو مراجعة من تسبيح من دعاء، ففي زاوية لا يراك

(21) أخرجه مسلم، صحيح.

فيها أحد **ناجي الله مناجاة عبد صادق واثق وعلى يقين بأن الرب كريم وأنه يستجيب لعبده حتى يرى دعاءه مثل فلق الفجر، وادع بقلب حاضر.**

أقل شي يفعله الإنسان في هذه العشرة أيام ما هو؟

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: " قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي "**(22) فلا يوجد أعظم من هذا الدعاء أن يلزمه الإنسان في هذه الليالي، فالنبي عليه الصلاة والسلام ما أرشدها أن تسأل الفردوس الأعلى لأن هذا من حاجاتنا ومن الأشياء التي نلهج فيها صباحًا ومساءً، وما أرشدها لأن تدعو أن يقيها الله من عذاب النار، **بل أرشدها للدعاء بالعفو لأن كل الأمور مربوطة بعفو الله، فلو عفى الله عنك وعن الهفوات والزلات والخلوات فالله عز وجل سينجيك من النار ويدخلك الجنة،** فالمسألة مسألة عفو، ومسألة أن تدرك يقينًا أن لك خطايا تسأل الله أن يغفرها لك وأن يعفو عنك فيها.

وهذه ليالي قديرة وعظيمة تجاب فيها الدعوات، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»**(23)

في جريدة ذكرت قصة رجل اسمه الشيخ حاج حسن أو حسان، كبير بالسن وأعمى فدخل المسجد في ليلة من ليالي الوتر وكان يرجى فيها أنها ليلة القدر فصلى الرجل وسجد وكان يدعو الله عز وجل، فما رفع من سجوده إلا وقد رد الله عليه بصره، وهو الذي أمضى 18 عامًا في العمى، **والله الذي استطاع أن يرد على هذا الإنسان بصر عينيه، يستطيع أن يرد لك بصر قلبك وأن يهدي قلبك، وأن يدخل فيه النور.**

(22) أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.
(23) أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: حسن صحيح.

أحيانًا يفكّر الإنسان يسأل نفسه هل من الممكن أن أتغير؟ ممكن أتحول؟ ممكن أكون إنسان آخر؟ المجتمع ماذا يقول؟ نفسي هل ستساعدني؟

تستطيع نعم، وهذا كله غير مهم فإذا أراد الله عز وجل أن يفتح عليك وأن يوفقك وأن يسددك ويرضى عنك سهّل لك هذا كله.

والآن تخيل!

تخيل أن بعد 14 ليلة ستكون ليالي رمضان قد انقضت، وهلّ هلال العيد، **تخيل مشاعرك ذاك الوقت، حين ينتهي رمضان وما زال في قلبك أمور ما انتهت، وما زلت غير راض عما فعلته،** إذًا هذا وقتك قبل الحسرة، وفي ذلك الصباح الذي يُهنئ الجميع بعضهم البعض وتملأ البيوت بالزينة،

أنت قف مع الله وقل يا رب رضيت عني أم لم ترضَ؟ عفوت عني أم لم تعفُ؟ أعتقتني أم لم تعتقني يا رب؟

يعتق الله عز وجل في آخر ليلة من رمضان بعدد من أعتقهم طوال هذا الشهر، يعني فرصتك الأخيرة في الليلة الأخيرة، فإذا استطعت ألا تخسر هذه الليلة فلا تخسرها، هذا اليوم الأخير الذي ينشغل فيه الجميع لتجهيزات العيد وتكثر فيه الغفلة ليرى الله منك خيرًا، وهذا لا يمنع أن تؤدي ما يُطلب منك، ومن إنجاز عملك،

لكن قلبك اجعله متجه لربك كأنه يطالع السماء راجيًا العفو والعتق، **تقول يا رب إن كنت طيلة الشهر ما فزت بالعتق فأعتقني الليلة ووالدي وإخواني وأخواتي ومن نحب فيك ومن أوصنا بالدعاء.**

هذه أيام معدودات، وكما كان علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما يقولان في هذه الليلة الأخيرة: **"يا ليت شعري من المقبول فينا فنهنئه ومن المحروم فينا فنعزيه"**،

فيا أيها المقبول هنيئًا لك، ويا أيها المحروم جبر الله مصابك، فالذي خرج من رمضان وهو محروم فهو حقيقة في مصيبة لأنه فقد شهرًا هو من أعظم فرص العمر التي قد تمر به.

إلى هنا ينتهي الحديث، أسأل الله أن يتقبل منا إنه هو السميع العليم، وأن يتوب علينا ويغفر لنا إنه هو التواب الرحيم، وأن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام، وأن يجعلنا ممن يدخل الجنة من غير حساب ولا عقاب، وأن يبلغنا هذه العشر وأن يبلغنا الفوز والعتق في ليلة القدر.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها.